

بشرا ان هذا الامك كريم» ؛ لالا أقول ذلك ولكن أقول كما أمره الله أن يصف نفسه : إن هو إلا بشر مثلكم يوحى إليه : نبي صدق الانبياء ولكن لم يأت في الاقناع برسالاته بما يلهي الابصار أو يحير الحواس أو يدهش المشاعر ولكن طالب كل قوة بالعمل فيما أعدت له واختص العقل بالخطاب ، وحاكم اليه الخطأ والصواب ، وجعل في قوة الكلام وساطان البلاغة وصحة الدليل مبلغ الحججة وآية الحق الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » اهـ

### الكرامات والحوارق

#### تممة المقالة المباشرة

( المسألة الخامسة والعشرون ) ذكر الشيخ الاكبر في فتوحاته أن الكرامة على قسمين كرامة حسية كالثبي على الماء وكرامة معنوية وهي التوفيق لسكالم الحفاظة على حدود الشريعة ظاهراً وباطناً وما ينشأ عن ذلك من العلوم والمعارف الالهية . وذكر ان الاكبر لا يحنلون بالكرامات الحسية وأن اعظم كرامة عندهم العلم بالله تعالى والدار الآخرة وما تستحقه الدار الدنيا وما خلقت له ولاي شيء وضمت حتى يكون الانسان من امره على بصيرة من حيث كان فلا يجهل من نفسه ولا من حركانه شيئاً . بل قال : إن الكرامة ليست الا العلم اما المعنوية نظاهر ان العلم بداهاتها وثمرتها واما الحسية فانه يشترط ان تكون بتعريف الهى وهو عين العلم : وتقول ان هذه الكرامة المعنوية لا ينكرها احد وكذا نفع وليس فيها ضرر ولا خداع فان العلم نور لاظامة فيه . والولى المحمدي لا يابق به التعميل على غير هذه الكرامة فان آية نبيه الكبرى معنوية والكرامة قيس من نور المعجزة كما يقولون ( المسألة السادسة والعشرون ) ذكر الشيخ الاكبر في فتوحاته ايضاً أن الحوارق التي تحصل على ايدي الصالحين تد يكون فيها مكر خفي واستدراج . وشرط لصحة كونها كرامة اكرم الله بها العبد لامكراً به ولا استدراج له ان

تكون نأجة عن استقامة أو متجة لاستقامة وان تكون بتعريف الهى . هذا ماشرطه شيخ الصوفية الأكبر وهو مخالف لما فى كتب علماء الظاهر من كون الكرامة هي الامر الخارق للعادة الذى يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح . ولو اعتبر بهذا وما قبله الذين يعدون المصادقات الثمينة كرامات وان ظهرت على أيدي المستورين او الفاسقين لكفوا من غلوائهم .

( المسألة السابعة والعشرون ) ان الكرامة فى عرف العامة هي الفصل الذى يميز طائفة من اناس يسمونهم الاولياء . والولى فى اللغة الناصر والمتولى للأمر وقد نهى الله المؤمنين ان يتخذوا من دونه اولياء وقال « الله ولى الذين آمنوا » وأولياء الله هم أنصار دينه والمميز لهم كمال الاتباع المعبر عنه بالتقوى فكل مؤمن تقى ولى ونفس عمل الغرائب ولا صدور الخوارق دليلا على التقوى ولا على الولاية . قال تعالى « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون » وفى الباب السادس والثمانين بعد المئة من الفتوحات المكية ان تارك الكرامات هو المتحقق بأخذ الحق وكيلاه امثالا لقوله تعالى « فاتخذوه وكيلا »

( المسألة الثامنة والعشرون ) يستدل العامة على ثبوت وقوع الكرامات للأولياء بقوله تعالى « لهم ما يشاؤون عند ربهم » وهي جراءة على محريف القرآن فاشية فيهم وإنما الآية فى أهل الجنة فى الجنة وقد احتزلوا منها هذه الجملة فكان استدلالهم بها على ان الاولياء يعطيهم الله فى الدنيا ما يشاؤون من الخوارق كاستدلال بعض المتلاعنين على تحريم الصلاة بقوله تعالى « يأبى الذين آمنوا الا تقربوا الصلاة » وترك القيد وهو قوله « وأنتم سكارى » . واكثر الذين رأيناهم يستدلون على الكرامة بما ذكر جاهلون بما عدا تلك الكلمة من الآية ولهذا نكتبها لهم بتمامها وهي « ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير » ثم قال بعدها « ذلك الذى يشعر الله عباده » الخ فانت تراها بشارة للمؤمنين السامعين بما سيكون لهم من الجزاء فى الآخرة فهى كقوله تعالى بعد ذكر الجنة ودخول المتقين فيها « لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد » فابن ذلك من حديث الخوارق فى الدنيا :

( المسألة التاسعة والشرون ) ان الاعتقاد بالكرامة ليس من اصول الايمان التي يكلف المؤمن باعتقادها كما تقدم وإنما ذكرها في كتب الدين لما تقدم من الاستدلال على وقوعها بالكتاب في قصة أم موسى وأم عيسى عليهما السلام . وقد علم من المقالة الرابعة أن تصارى ما يدل عليه الكتاب هو الالهام الصحيح للأولى وتمثل الملك الروح للتأية ومكالمها وذلك من مقدمات نبوة ولديهما كجبل مریم بنفخ الروح فيها . فمثل هذا لا يقاس عليه لأنه آية لم تأت على قياس لان زمن النبوة قد انقطع فلم يبق إلا تحكيم العلم في مسألة الحوارق فما اثبتته فهو الثابت وما نفيه فهو المنفي وما توقف فيه فالوقف حتم الى ان يتجلى فيه شيء

( المسألة الثلاثون ) لنا ان نجعل الدين معيناً للمسلم في البحث عن الحوارق التي تتحقق وقوعها وذلك ان الدين علمنا ان وراء العالم المحسوس عالماً غيبياً لا نستقل الحواس بادراكه . ومن حكم الدين في الاخبار بهذا توجيه همة الانسان الى شيء أرقى من هذه المحسوسات التي تشاركه فيها البهائم والحشرات حتى لا يقف باستمداده غير المحدود عند هذه الحدود القرية . وإن للعالم الغيبي اتصالاً بعالم الشهادة المحسوس ومنه أرواحنا التي بها نحيا ونموت

وهذه المسألة تنهضنا في تمليل كثير من الوقائع التي تسمى حوارق وهي حوارق عادات حقيقة ولكنها ليست حوارق للسنن الالهية فإذا لم تظهر لها سنة حسية جليلة : فان لها سنة معنوية خفية . وهذه التعليقات والتأويلات الآتية من قبيل تمليل علماء المادة كثيراً من الظواهر الطبيعية بالأثير الذي يسندون اليه الآثار : وان لم تدركه الابصار . بل هي أظهر منها . وانما نجعل هذه المسألة آخر المسائل التي نجلي بها مبحث الحوارق والكرامات . فعلم من هذا انه ليس في الدين دليل على وقوع الحوارق لتغير الأنبياء إلا في وقائع متصلة بهم ومتعلقة بظهورهم وان الممول عليه فيها وراء ذلك هو العلم والاختبار . وسترى أنواع الحوارق في المقالات التالية وحكم العلم والاختبار فيها

## (المقالة الحادية عشرة في أنواع الكرامات وضروب التأويل)

مارأيت أحداً توسع في الكلام على الكرامات كالتاج السبكي في الطبقات الكبرى ولذلك جعلنا كلامنا في المقالات الأولى معه . وقد تكلم في أنواع الكرامات وقال : ان بعض المتأخرين عدد أنواع الواقعات من الكرامات فجعلها عشرة وهي أكثر من ذلك وأنا أذكر ما عندي فيها : ثم ذكر خمسة وعشرين نوعاً لا تخلو من تكرار وتداخل ثم قال : وأظن أن أنواع كراماتهم تبلغ المئة : وقد زدت عليه في خاتمة كتاب (الحكمة الشرعية في محاكمة القادرة والاحمدية) أنواعاً مشهورة عنهم . وأنا نسرد هذه الأنواع المشهورة ونحمر القول فيها . ونشير إلى وجوه التأويل التي تعتمدها . فقول :

## (النوع الاول احياء الموتى)

ذكر السبكي في حكايات في إحياء نحو دابة ودجاجة وحادأة وطفل صغير وقع من سطح فسات ثم قال : لا يثبت عندي ان ولياً حيي له ميت مات من أزمان كثيرة بعد ما صار عظماً رهبياً ثم عاش بعدما حيي زماناً كثيراً . هذا القدر لم يلبثنا ولا اعتقده وقع لاحد من الاولياء ولا شك في وقوع مثله للانبياء عليهم السلام فمثل هذا يكون معجزة ولا ينتهي اليه الكرامة فيجوز ان يحيى نبي قبل احتسام النبوة باحياء أم انتقضت قبله بدهور ثم اذا عاشوا استمروا في قيد الحياة أزماناً . ولا اعتقد الآن أن ولياً يحيى نبياً الشافعي وأبا حنيفة حياة يبقيان . مهنازنا طويلاً كما عمرا قبل الوفاة ولا زماناً قصيراً يخالطان فيه الاحياء كما خالطاهم قبل الوفاة : اه كلامه

أقول اذا كان يعترف بأن الشيخ عبد القادر الحلي أحيى الدجاجة بعد أن ذلها مطبوخة فلماذا يستنكر على مثله إحياء الشافعي وإبي حنيفة وبماذا يفرق بين الاحياءين ؟ ان كان الكلام في الجواز وعدمه فهو حكم عقلي لا يختلف باختلاف الاشخاص وان كان الكلام في الوقوع فهو يتوقف على المشاهدة أو السماع من المعصوم أو النقل بالتواتر الصحيح عن أحدهما ولا شيء من ذلك ثابت الا ما حكى الله تعالى من قول عيسى عليه السلام « وأحيى الموتى بأذن الله » ولم يقل انه أحيى ميتاً أو

أمواتاً مضى على موتهم الزمن من الطويل حتى صاروا رما بالية ثم عاشوا بين الناس وحدثوهم بما كان من أمرهم بعد الموت . ولو فعل هذا لما بقي أحد إلا وآمن به .  
ولسنا نريد أن نعدم النص والتصریح بأنه أحياء الموتى بالفعل يقتضي أنه لم يقع منه إحياء حقيقي بالفعل أو أن المراد بالموتى موتى الجهل والكفر وبالإحياء الهداية إلى الإيمان والحق كما قال المأولون وإنما نريد أن السبكي لا يجد نصاً يؤيد به دعواه وأنه متحكم وإن كان مصيباً في قوله وفقاً للقشيري: أن الكرامة لا تباع مبالغ المعجزة: ويظهر أن الميزان الذي يزن به هذه الأحكام هو عظمة الأشخاص أو الأصناف في نفسه فلما كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أعظم الناس قدراً أعطاهم إحياء العظام الرميم وكون من يحيونه يعيش الزمن الطويل وأعطى الأولياء إذ كانوا دونهم إحياء العليور والاطفال !!  
كان للنصارى غرام بنقل الآيات والخوارق والأمر الغريب إذا اشهر بين الناس لا ينسى وإن كان سنده واهياً أو موضوعاً ولم ينقل القوم عن المسيح أنه أحيى العظام الرميم بل روى لوقا في آخر الفصل الثامن من إنجيله أن ابنة رئيس المجمع ماتت وأن المسيح قال « لا تبكوا لم تمت لكنها نائمة ٥٣ فضحكوا عليه عارفين أنها ماتت ٥٤ فاخرج الجميع خارجاً وأمسك بيدها ونادى قائلاً : يا بنية قومي : فرجعت روحها وقامت في الحال » اه وروى يوحنا في الفصل الحادي عشر من إنجيله قصة إحياء (عازر) أخي مريم ومرثا وكان المسيح يحبه ويحبهما وكان مريضاً فأخبر المسيح تلاميذه بأنه نام وأنه يريد إيقاظه ويعني أنه مات فجاء معهم من أورشليم إلى قرية بيت عينا حيث كان عازر واحتاده وكان قد مات ووضع في مغارة منذ أربعة أيام فجاءها وأمر برفع الحجر ورفع هو عينيه إلى فوق وقال : ايها الأب اشكره لأنك سمعت لي وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي ولكن لأجل هذا أجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني : ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هب خارجاً فخرج الميت الحي

هذا ماروود وهو على انقطاع استاده ليس في شيء مما قال السبكي أما حكاية البنت فيحتمل أنها كانت في نوم حقيقي كما هو ظاهر قواه . وأما الحكاية الثانية فإسنادها مشر المؤمنين نسلم بها إذا صح نقلها بالتواتر وإن كان ملاحظة التصدي

قالوا فيها باحتمال المواطأة بين المسيح ولعازر على ما كان ( نعوذ بالله من كفرهم )  
وباحتمال أن يكون ذلك من قبيل النوم الطويل فقد ثبت أن من الناس من ينام  
عدة أسابيع او عدة أشهر ثم يستيقظ بسبب او بدون سبب ، ولولا ما ثبت في  
القرآن من نبوة المسيح وتأيد الله تعالى له بإحياء الموتى لكان التأويل متمينا فليس  
عندنا نقل متواتر يثبت به

هذا وانما خرجنا عن الموضوع بادخال المعجزة في البحث ، والذي نقوله في  
هذا النوع من حيث عدّه في الكرامات إنه لم يثبت والأصل عدمه ، وان ما  
ما اوردته السبكي من الحكايات ينطبق على القاعدة التي قررنا في طبقاته وهي  
عدم جواز إظهار الكرامة الا لأمر عظيم يضطر اليها حتى إنه اتحل تطبيق  
ما اوردته من الكرامات المأثورة عليها . وكان ينبغي له ان يطبقها على قاعدته  
الإخرى وهي عدم بلوغ الكرامة مبلغ المعجزة فيقول ان إحياء الموتى لا يكون  
من الكرامات . ولا عبرة بتلك القصص والحكايات .

هذا وان المشعوذين في أوروبا وغيرها يخجلون للناس أنهم يذبحون الانسان فيبنون  
رأسه عن جثته ثم يحيونه ، ويطمع انعماء بان يرتقي العلم بالناس الى مستوى يهتدون  
فيه الى إعادة الحياة لمن تفارقه بعد زمن قريب . ومنهم طائفة من الروحانيين تشتغل  
بالبحث عن طريق مناجاة أرواح الموتى . ولا يمدان محييء يوم يظهر لهم فيه أن ماروي  
من إحياء سيدنا عيسى للآيات ولعازر . وإحياء سيدنا محمد لابن جابر . قد كان بسنة إلهية  
خفية . وهو إمداد الأرواح القوية العلوية الأرواح الضعيفة السفلية . حتى تمود  
بذن الله الى التصرف بالجسد ، اذا لم يطل على مفارقه الامد . وقد سبق الاماع الى  
أن آيات الانبياء عليهم السلام اذا كانت جارية على سنن الهية روحانية يكون ذلك أليق  
بكمال الله عز وجل بما اذا كانت بمحض القدرة لما فيه من اتفاق القدرة مع النظام  
والحكمة وذلك كمال في القدرة لا تقص فيها

### (النوع الثاني تكليم الموتي ورؤية الأرواح)

قال السبئي هو أكثر من النوع الذي قبله وروى مثله عن أبي سعيد الخراز رضي الله تعالى عنه ثم عن الشيخ عبدالقادر رضي الله تعالى عنه وعن جماعة من آخرهم بعض مشايخ الشيخ الإمام الوالدولست اسمه :

ونقلت في كتاب (الحكمة الشرعية) عن الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي ما حكاه عن نفسه في الفتوحات المكية (باب ٣١١) وهذائمه : « ولقد كنت انقطعت في القبور مدة منفرداً بنفسي فبلغني أن شيخنا يوسف بن يخلف الكرمي قال : ان فلانا ... وسأني - ترك مجالسة الأحياء وراح يجالس الموتي : فبعثت إليه وقلت : لو جئتني لرأيت من اجالس : فصلي الضحى واقبل اليّ وحده مامعه احد فطلب علي فوجدني بين القبور قاعدا مطرقا وانا اتكلم على من حضرني من الأرواح فجلس إلى جاني بادب قليلا قليلا فنظرت إليه فرايته قد تغير لونه وضاق نفسه وكان لا يقدر يرفع راسه من الثقل الذي نزل عليه وانا انظر إليه واتبسم فلا يقدر ان يتبسم لما هو فيه من الكرب فلما فرغت من الكلام وصدر الوارد خفف عن الشيخ واستراح ورد وجهه اليّ فقبل بين عيني فقلت له : يا استاذ من يجالس الموتي انا او انت ؟ قال : لا والله بل انا اجالس الموتي والله لو تمادى عليّ الحال فطست : وانصرف وتركني فكان يقول : من اراد ان يعتزل عن الناس فليعتزل مثل فلان : « اه

وأقول الآن ان مثل هذه الحكاية منقول عن الصوفية بكثرة وهو من خوارق العادات المألوفة المعروفة ولكنه ليس خارجا عن السنن الالهية ، ولا خارجا للتوأميس الكونية . ولا علاقة له بالامور الدينية ، وإنما الروح الانساني مستعد في أصل الفطرة لادراك علله ولكنه يشغل عنه بمالم الجسد الذي يكون كل شغله به من أول النشأة وهذا الاستعداد يكون قويا في بعض الناس فاذا اهتدى من يكون قويا فيه إلى استعماله يزداد قوة حتى يتمكن من رؤية الأرواح المجردة أي التي تفارق الاجساد ويقوى على خطابها والافرنج في هذه السنين عناية بهذا الامر واشتغال به كبير ، وروى عنهم في استحضار الأرواح ومكاملة الموتي أضعاف ما روى عن الصوفية من الوقائع واكتنهم مع ذلك لم يبلغوا فيه مبلغ الصوفية فيما اظن ولا يعد ان يسبقوهم

في يوم من الأيام لأن جد هؤلاء الأفرنج ومثابرتهم على الأعمال التي يهتدون إلى طريقها من الغرابة بمكان

هذا ما يقال في التأويل لمن صحت عنده الروايات عن الأولين والآخرين . ومن الناس من يقول أن كل ما يروى في هذا المقام غير حقيقي وإنما هو من ضروب الشعوذة والسيماء يخيلون فيه للناس ما لا حقيقة له في الواقع . وقد ذكر الصوفية أن بعض هذه المشاهد الروحية يكون في عالم الخيال . وبعضها يكون في عالم المثال وقد اطلنا هذا البحث في كتاب ( الحكمة الشرعية ) فكتبنا فيه ٣٥ صفحة ، ومنه : قال حجة الإسلام الغزالي ( رحمه الله تعالى ) في كتابه المنقذ من الضلالة في التناء على الصوفية « حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد » وفي المواهب اللدنية للقسطلاني أن الغزالي قال في تفسير حديث « من رأى في المنام فقد رأى حقاً » وحديث « من رأى في المنام فسيراني في اليقظة » : ليس معنى قوله « فقد رأى » أنه رأى جسمي وبدني وإنما المراد أنه رأى مثالا صار ذلك المثال آلة يتأدى بها المعنى الذي في نفسي إليه . وكذلك قوله « سيراني في اليقظة » ليس المراد أنه يرى جسمي وبدني ( قال ) والآلة تارة تكون حقيقية وتارة تكون خيالية والنفس غير المثال المتخيل فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا شخصه بل هو مثاله على التحقيق : فعلم بهذا أن الغزالي يريد برؤية الأرواح رؤية مثل متخيلة لها . ولكنه قال في المنقذ بعد ما تقدم : ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق الناطق :

وذكر الثعراي في كتابه اليواقيت والجواهر جماعة كانوا يرون النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اليقظة منهم الشيخ قاسم المغربي ، ونقل عن الشيخ قاسم المذكور أنه قال : وأكثر ما تقع رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بالقلب ثم تترقى إلى رؤية البصر ( قال ) وأبست رؤية النبي صلى الله عليه وسلم كرؤية بعضنا مضا وإنما هي جمية خيالية وحالة برزخية وأمر وجداني لا يدرك حقيقته إلا من به منة باشره : اه ففهم أن الإنسان لا يزال يفكر في الميت الذي توجه إليه نفسه

ويتعمل في إخطاره على قلبه حتى يتخيل أنه يراه وأنه معه لأنه يغيب عن عالم الحس ويستغرق في عالم الخيال

وذكر الشمراني في ميزانه عن شيخه علي الخواص أن الأئمة المجتهدين كانوا يرون النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ويسألونه عن الأحكام المشككة . ولو كانت هذه الرؤية حقيقة مطردة لما اختلفوا إذ لا يمكن أن يجيبهم بأجوبة مختلفة في المسألة الواحدة ولما توقعوا في بعض المسائل ، فان صح قوله فهي الجمعية الخيالية وهي لا تزيد الإنسان على ما في نفسه . على أنه لم ينقل عن أحد منهم أنه ادعى ذلك .

وفي الذهب الأبرز ( ص ٤٤ و ٤٥ من النسخة المطبوعة بمصر سنة ١٢٩٢ ) أن ابن المبارك سأل الشيخ عبد العزيز الدباغ عن استحضار صورة النبي صلى الله عليه وسلم في ذهن المؤمن هل هي من عالم الروح أو من عالم المثال أو من عالم الخيال قال : « فاجاب رضي الله عنه بان ذلك الاستحضار من روح الشخص وعقله فمن توجه بفكره اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ووقعت صورته في ذهنه فان كان ممن يعلم صورته الكريمة لكونه صحابيا أو من العلماء الذين عنوا بالبحث عنها ثم حصلوها فانها تقع في فكره على ما هي عليه في الخارج . وان كان من غير هذين فانه يستحضره في صورة آدمي في غاية الكمال في خلقه وخلقه فقد توافق الصورة التي في فكره ما في الخارج وقد تخالفه والحاضر في الفكر هو صورة ذاته صلى الله تعالى عليه وسلم لأصورة روحه عليه الصلاة والسلام فان الذي شاهده الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأخبر عنه العلماء هو الذات لا الروح الشريفة ولا يجول الفكر الا فيما يعلمه الشخص ويعرفه . فقوالكم : هل هو من عالم الروح ؟ ان أردتم به الاستحضار فهو من عالم الروح اي من روح المتفكر وان أردتم به الحاضر أي فهل الحاضر في أفكارنا روحه صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ فقد سبق أنه ليس إياها . وأما المحادثة والمكاملة اذا حصلت لهذا المتفكر فان كانت ذاته ظاهرة وتجهياً روحه ولم تحجب عنه أسرارها وكانت معه كالحليل مع خليله فالمحادثة معصومة وهي حق وان كانت الذات على العكس فالامر على العكس والله الموفق » اه وما ذكره أخيراً من الحكم في المحادثة والمكاملة فيه غموض ولا أقول هنا كما قالت في ( الحكمة

(الشرعية): ان فيه وقفة ظاهرة:

ثم قال ابن المبارك إنه ذكر شيخه رجلاً من الصالحين كان يذكر الله مع جماعة من أصحابه فما كان من أحدهم إلا ان تبدل لونه وتغير حاله وبدل جلسته فقيل له : لم فعلت هذا ؟ فقال «واعلموا ان فيكم رسول الله » ( قال ) فقلت للشيخ هل هذه المشاهدة التي وقعت لهذا الرجل مشاهدة فتح أو مشاهدة فكر ؟ فقال : مشاهدة فكر لا مشاهدة فتح ومشاهدة الفكر وان كانت دون مشاهدة الفتح الا انها لا تقع الا لأهل الايمان الخالص والمحبة انصافية والنية الصادقة . وبالجملة فهي لا تقع الا لمن كمل تعلقه بالنبى صلى الله عليه وسلم . وكل واحد تقع له هذه المشاهدة فيظن مشاهدة فتح وانما هي مشاهدة فكر . وهذا القسم الذي تقع له هذه المشاهدة وهو غير مفتوح عليه اذا قيس مع عامة المؤمنين كانوا بالنسبة اليه كالمدم ويكون إيمانهم بالنسبة اليه كالأشياء والله أعلم :

قال ابن المبارك : وما يؤيد هذه المشاهدة الفكرية وانها تقع لغير المفتوح عليه كونها تقع لمن كملت محبته في شخص وان كان غير النبي صلى الله عليه وسلم . ولقد أخبرني بعض الجزارين أنه مات له ولد كان يحبه كثيراً وأنه لم يزل شخصه في فكره حتى ان عقله وجوارحه كلها دمه فكان هذا دأبه ليلاً ونهاراً الى ان خرج ذات يوم الى باب الفتوح احد أبواب ( قاس ) حرسها الله تعالى لشراء القم على عادة الجزارين مثال فكره في أمر ولده الميت فينبأ هو بحول فكره إذ رآه عياناً وهو قدم اليه حتى وقف الى جنبه . قال فكلمته وقلت له : يا ولدي خذ هذه الشاة لشاة اشتريتها حتى اشتري أخرى : وقد حصلت غيبة قليلة عن حسي فلما سمعت من كان قريباً أتكم مع الولد قالوا : مع من تنكلم أنت ؟ فلما كلموني رجعت الى حسي وغاب الولد عن بصري فلا يدري ما حصل في باطني من الوجود عليه الا الله تبارك وتعالى : أه

وقلت بعد إيراد هذا في (الحكمة الشرعية) : وظاهر ان هذا الرجل قد انطبعت صورة ولده في خياله واشد اشتغاله به وضمف شأن المحسوس الذي هو آخذ به بالنسبة اليه غاب عن حسه وتلاشى تحت قوة سلطان خياله فتمثلت له صورة ولده المعلوم في خياله بشراً سوياً فحدثه وهمه بأنه يراه حقيقة فخطبه بما خاطبه به حتى اذا

تنبه بتميه آخر لم ير شيئاً . وهذه الرؤية من قبيل الأحلام المنامية . وقد رأيت امرأة محبولة تخاطب الأموات وتخبر عن حالهم عند ما يمرون في خيالها : هذا فلان يقول كذا هذا فلان يقول كذا : وكثيراً ما تكون النية عن الحس للعشاق باستحواذ الخيالات والأوهام عليهم حتى ان أحدهم لفرط شغفه واشتغال فكره بمشوقه يمثله له خياله فيتوهم أنه موجود أمامه حقيقة فيقابله بما يليق به من الآداب . ويرفع الى أعتاب جنابه ماشاء من العتاب ، وفي ذلك قال قائمهم :

يمثلك الشوق الشديد لناظري فأطرق إجلالاً كأنك حاضر

ومنه الحكاية عن عاشقة تقول :

فليس نوما خفض رأسي إنما أسجد للطيف الذي قد ساءما . فأنني استزرتة توها  
فزارني ورق لي ترحما . لما رأى في الجفن فعل السهد  
وقال لي بالله ما أضاحكي . قد كلت عنك نظر الإدراك . ناصبي بجفني فاتصدي مناكي  
كياتره أنت أوراكي . فليس لي بغيرذا من جهدي  
ومثل هذا في كلامهم كثير وفيه يقال : الجنون قنون . وكل حزب بما لديهم فرحون .

### ( النتيجة )

ان ما نقل عن كثير من عباد المسلمين والنصارى وغيرهم من رؤية الأنبياء والأولياء والرؤساء الروحانيين صحيح فان حال الأشخاص في الرأين والناقين في بعض الوقائع ليس فيها شائبة الكذب . ولكن هذا ليس من الخوارق الحقيقية ولا تلك المشاهدات دليل على ان صاحبها على الحق . وإنما هو تأثير الحب والشغف وكثرة الفكر والتخيل في الشيء مع تأثر الوجدان به يضعف الحواس . ويقوي الوسواس ، فيغيب صاحبه عن حاله . ويحضر مع خياله . ومن الناس من كان يستعين على إثارة رواكد الخيال بما يضعف الحواس والعقل من المخدرات كالخبيشة المروفة فقد كان أول من استعملها الباطنية والمتصوفة ولذلك كانت تسمى خبيشة الفقراء . كان شيوخهم يشغلون فكر المرید بيمض الأموات المعتقدين أو بالجنة مثلاً ويسألونه شيئاً من الخبيشة فتخدر حواسه فيتجسم ما في خياله من الصورة التي كان وجهه الشيخ إليها قتمثل له في صورة يديعة . وما كان المریدون يعلمون بأن لما تناولوه من الخبيشة تأثيراً فيما رأوه وإنما كانوا

يمتقدون أنه تصرف روح الشيخ في عوالم الملكوت وإدناء بعض ما فيها من عالم الملك وأنت ترى أن هذا الذي قلناه في تفسير رؤية الأرواح ومكالمتها مأخوذ من كلام كبار الصوفية ولم تقتصره افتحاراً . واني اعترف بأن مقاله الشيخ عبد العزيز الدباغ فيه هو كرامة من كراماته المعنوية فانه كان رجلاً أميناً وفتح الله عليه بالمعارف العالية وأكرمه بحل كثير من المشكلات الفلسفية كهذه المسألة والمشكلات الدينية أيضاً على اني لا اسلم بكل ما نقل عنه ولا أقول انه معصوم أو محفوظ من الخطأ . وما قاله في إيمان من يرى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رؤية فكرية خيالية لا ينافي ما قلناه آنفاً من كون هذه المشاهدات لا تدل على حقية اعتقاد صاحبها . فصاحب الايمان الصحيح في الاصل تجعل إيمانه إيماناً وجدانياً فيكون أقوى من إيمان غيره . وكذلك صاحب الاعتقاد الباطل فهي تقوي في نفس صاحبها ما هو فيها حقاً كان أو باطلاً كما فعلت بإيمان الذين تمثلت لهم السيدة مريم عليها السلام وهم يعتقدون أنها أم الله - تعالى عن ذلك علواً كبيراً - فثبت بهذا ان هذا النوع ليس من الخوارق في شيء

ورأيت ان كلام الصوفية الذي حلّ الأشكال يشير أو يصرح بان وراء هذه المشاهدات الخيالية والمكالمات الوهمية شيئاً آخر أعلى منه وهو إدراك الأرواح إدراكاً صحيحاً والاستفادة منها استفادة حقيقية لم يكن يعلمها المرء من قبل . وهذا شيء لا يمكن ان يعرفه الا من ذاقه وهو جازم وان لنا من الثقة بصدق بعض المخبرين به اكثر مما لاهل هذا العصر من الثقة باهل أوروبا إذ يصدقونهم بكل شيء غريب يقطعون بثبوته وان لم يعرف دليلهم هؤلاء المصدقون

وإذا ثبت هذا النوع لبعض الاولياء والاضياء لاستعداد فيهم قواه استعماله وسمي كرامة لهم فلا ينبغي ان تعتقد انه جاء مخالفاً للسنن الالهية في الخلق ولا ان تصدق أحداً من الناس بخصوصه يدعيه لأنه مما لا يمكن إثباته لتغير من ذاقه ومن ادعى ما لا يمكن إثباته فهو أحمق أو مجنون لا يبالي به . وهذا الذي قررناه حجاب دون اغترار العامة ببعض الدجالين وهو غرضنا الاول من كل ما كتبناه في الخوارق والكرامات

في س ٩ ص ١٦٤ « كلام » والصواب « كلام الله » وفي س ٩ ص ١٦٧ ( رؤساء )

والصواب « عن رؤساء » فليصحح